

معوقات في مواجهة النظرية الأدبية الإسلامية

الحلقة الأولى : نشأة المذاهب الأدبية الغربية

د/ علي يوسف اليعقوبي

يُطلقُ مُصطلحُ "المذهب" عادةً للدلالة على "جُمْلَةٍ مِنَ المعتقداتِ المُختلفة؛ دينيةً كانت، أو فكريةً، أو أدبيةً، مُنظمةً، وقائمةً على أُسُسٍ مُحكمَةٍ، وارتباطٍ وثيقٍ"^(١)، أو هو "مجموعةٌ مِنَ المبادئِ، والأُسُسِ الفنيّةِ والفكريةِ التي يدعو إليها النُّقادُ، ويُطبّقها الأدباءُ على إبداعاتهم، بحيثُ تربطُ الأدبَ في شكله، ومضمونه، بفلسفةٍ مُعيّنة، وهناك مِنَ المذاهبِ ما يركّزُ على الأُسُسِ الفكريةِ، ولا تُكوّنُ لديه مبادئٌ فنيّةٌ جديدةٌ"^(٢)، وعلى هذا فإنَّ المذاهبَ الأدبيةَ الغربيّةَ (كلاسيكية ورومانسية وواقعية...) التي "تقومُ على فلسفاتٍ ماديةٍ أساساً، رأى أصحابها أنَّ السبيلَ إلى إشاعتها في الناسِ هو تقديمها في قوالبٍ أدبيّةٍ، فلسفيّةٍ وثنيّةٍ تقومُ على تمجيدِ العقلِ، فالرومانسيّةُ فلسفةٌ مسيحيّةٌ، وهي ثورةٌ على العقلِ، وتمجيدٌ للعاطفةِ، وهذه الثورةُ تشملُ الأعرافَ، والمبادئَ، والأخلاقَ"^(٣)، ولذلك كان لا بُدَّ لقيام أيِّ مذهبٍ أدبيٍّ من توافُرِ عناصرٍ، وشروطٍ، لا يتكوّنُ إلا على أساسها، بل لا يَنهَضُ إلا إذا استوفّاها، وهي:

أولاً: وجودُ أساسٍ فكريٍّ فلسفيٍّ يَنظُمُ آراءها، ويُكسِبُها التَّرابُطَ، والانسِجامَ، ويعصمُها مِنَ التَّناقُضِ، والخلَلِ.

ثانياً: وجودُ نماذجٍ إبداعيةٍ تُشكّلُ الأساسَ التَّطبيقيَّ لهذا المذهبِ، وتُنتِجُ أعمالاً أدبيّةً مشحونةً بتصوراتٍ، وقيمٍ الفلسفةِ الجديدةِ، وأفكارها.

ثالثاً: وجودُ نُقادٍ مُتحمسين، لهذه القيمِ، يتابعون الإنتاجَ الأدبيَّ بالنقدِ، والتَّوجيهِ، ويستشعرون ما به من جديدٍ، أو من خُروجٍ على المألوفِ، ثم يُنظرون له، ويستنبطون أُسُسَهُ، وقواعدهُ، لِيشيرَ هذه المبادئِ، الفنيّةِ، والفكريةِ الجديدةِ^(٤).

ولقد عرّفت أوروبا - خلال قرونٍ طويلةٍ - العديدَ مِنَ المذاهبِ الأدبيّةِ، التي أخذت قسماً كبيراً مِنَ الدّعايةِ في بلادنا، حتّى ظنَّ كثيرٌ مِنَ الناسِ أنّها النُّموذجُ الأمثلُ، وأنّها مظهرٌ مِنَ مظاهرِ العافيةِ، والقوّةِ، والتَّطوُّرِ^(٥)، ولعلَّ ممَّا ساعدَ على انتشارها كذلك، سلطانُ الدُّولِ الأوروبيّةِ النّامي، والمتصاعِدُ، واستعمارها المُمتدُّ، وسيطرتها العسكريّةُ في أرجاء مُختلفةٍ مِنَ أنحاءِ الأرضِ، ومما قابلَ ذلكَ كُلُّهُ مِنَ تراجُعٍ، وتخلُّفٍ عربيٍّ كبيرٍ، ممَّا استدعى حالةً مِنَ

(١) د/ وليد قصاب - المذاهب الأدبية الغربية.. رؤية فكرية، وفنية - ط١، ص١٩.

(٢) ينظر/ د.عبد الباسط بدر- مذاهب الأدب الغربي "رؤية إسلامية" - ص٢٦.

(٣) أنور الجندي - تميز الأدب الإسلامي وأصالته (سلسلة: على طريق الأصالة) ص١١، ١٢.

(٤) ينظر/ د.عبد الباسط بدر- مذاهب الأدب الغربي "رؤية إسلامية" - ص٢٦، ٢٧.

وينظر أيضاً/ د. وليد قصاب - المذاهب الأدبية الغربية.. رؤية فكرية، وفنية - ص٢٢.

(٥) د. عدنان علي رضا النحوي - الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته - ط٣ ص٢٥١.

الانبهار، والمحاكاة، على طريقتي (القوي، والضعيف) ^(٦)، وقد تنازعت المنطقة كُتلتان عُرفتَا فيما بعد بالكُتلة الشرقيّة، برعامة الاتحاد السوفييتي، الذي غدّى اتّجاه الأدب الشيوعي، والغربيّة برعامة أميركا، والتي دعمت الاتّجاه الغربيّ الرأسماليّ اقتصاداً، وسياسةً، وأدباً، ونحن هنا لا نريد دراسة المذاهب الأدبيّة الغربيّة دراسةً تفصيليّةً، فذلك ميسورٌ في مراجع كثيرة، والتركيز على ما يمسُّ هذه الدراسة، وبالقدر الذي يتطلّبهُ تصوُّر الأدب الإسلاميّ.

(٦) بنظر / د. وليد قصاب - الحداثة في الشعر العربي المعاصر - حقيقتها، وقضاياها، رؤية فكرية وفنية - ط ١، ص ٣١.
وينظر / د/عدنان علي رضا النحوي - الأدب الإسلامي.. إنسانيته وعالميته - ص ٢٥١.